

تاريخ القبول: 2020/10/01

تاريخ الإرسال: 2020/02/23

تاريخ النشر: 2021/04/30

تطور وتحول الرواية العربية من التقليد إلى الحساسية الجديدة The evolution of the Arabic novel from tradition to new sensitivity

نسرين عطية. جامعة أحمد دراية. أدرار attianesrine@univ-adrar.dz
د. محمد كنتاوي. جامعة أحمد دراية. أدرار. Kantmed2301@univ-adrar.dz

الملخص:

ظفرت الرواية العربية بدراسات مختلفة من طرف الباحثين والدارسين والنقاد، حيث تشابكت الآراء حول نشأة الرواية العربية فمنهم من نسب امتدادها من الغرب ومنهم من نسب نشأتها إلى التراث والأدب الشعبي، ويمكن القول أن الرواية العربية هي تلك الوحدة الثقافية والاجتماعية والسياسية التي تطورت شكلا ومضمونا إلى أن وصلت إلى مرحلة الاكتمال والنضج الفني، وصارت نصا له ملامح مختلفة، فالروائيون سعوا بشكل أو بآخر إلى إبداع نموذج روائي جديد يجعل الرواية تطرح عدة تساؤلات أمام قراءها، وتعالج مواضيع تمس المجتمع، بهذا كانت الرواية التجريبية هي الرواية المعاصرة التي اختلفت كليا عن الرواية الكلاسيكية. ومن أبرز النتائج التي تتميز بها هذه الدراسة ذلك الربط العميق بين المدونة والظواهر الاجتماعية والأبعاد الفكرية والنقدية، وبخاصة أن الرواية تمثل الناطق الرسمي لذهنية الأفراد والمجتمعات، أو هي الرصيد الفكري والثقافي للطرفين، وتعتبر بناء على هذه الأنماط تأسيسا جديدا لعمليات التقليد وإبداء ردود الأفعال التي تدفع إلى الاستمرار في الانتاج أو تعوقه.

الكلمات المفتاحية: الحساسية الجديدة؛ تطور الرواية؛ ملامح الرواية؛ التجريب؛ تاريخ الرواية؛ تعدد الأنساق الثقافية.

Abstract:

The Arabic novel has been the subject of various studies by scholars, scholars and critics. Opinions are intertwined about the emergence of the Arabic novel, some of which are from the West and some from the genealogy of literature and folklore. Reached the stage of completion and artistic maturity, and became a text with different features, novelists sought in some way to create a novel novel model makes the novel raises several questions in front of its readers, and address topics affecting society, thus the experimental novel is the contemporary novel that It draws entirely from the classic novel.

One of the most prominent results of this study is the deep link between the code and social phenomena and the intellectual and critical dimensions, especially that the novel represents the official mouthpiece of the minds of individuals and societies, or is the intellectual and cultural balance of both parties. To continue production or hinder it.

Keywords: New sensitivity; novel evolution; novel features; experimentation ; novel history ; multiculturalism

المؤلف المرسل: نسرين عطية، ATTIANESRINE@UNIV-ADRAR.DZ

1. مقدمة:

تميزت حركة الإبداع الروائي بالتطور والتحول، سواء في الأشكال والتقنيات أو حتى في المضامين، ولقد كان لهزيمة حزيان أثر في هذا التحول، إذ سرعان ما تحولت الكتابة الإبداعية لدى الروائيين معلنين انكسار وانهيار النموذج الكلاسيكي للرواية، وبذلك دخلوا مغامرات التجريب الفني والحساسية الجديدة كما وصفها ادوارد

خراط، وأصبحت الرواية المعاصرة مشبعة بعدة اقتراحات مفتوحة على أجناس إبداعية مختلفة، ويمكن أن نصف الرواية المعاصرة على أنها صارت بمثابة المدونة التي تعبر عن قضايا مختلفة دون حصر، وهي الجنس الأدبي الذي قام باستيعاب الأشكال الكتابية المختلفة، أو بمعنى آخر هي ذلك الجنس المنفتح والمتجدد الذي يعتمد باستمرار على أساليب وتقنيات جديدة ومعاصرة، فتحول الرواية حطم الرواية التقليدية وتمرد على الشكل الذي اعتدنا عليه، فعدت الكتابة الروائية اختراقاً وتجاوزاً للمألوف لدى جُل الروائيين، وأصبح فن الرواية في الأدب العربي المعاصر من أهم الفنون ويمكن أنه صار يتنافس مع الشعر الذي كان فناً لا ينافسه أي فن، بناءً على ما سبق يمكن أننا سنحاول في هذا المقال طرح قضية من أهم القضايا التي تناولتها الدراسات المعاصرة وهي تطور الرواية ومن التقليد إلى التجديد ولو بشيء مختص.

- ✓ فما أسباب تطور وتحول الرواية العربية من التقليد إلى الحساسية الجديدة؟
- ✓ وهل مسَّ هذا التحول كل الروائيين أم اعتمده البعض؟
- ✓ وما الفرق بين الرواية التقليدية الكلاسيكية والرواية العربية المعاصرة؟
- ✓ ولماذا اعتمد ادوارد خراط مصطلح الحساسية الجديدة؟
- ✓ ما هي ملامح رواية الحساسية الجديدة؟

2. التاريخ حاضن ومرجعية التطور في الرواية العربية:

عمل الدارسون والنقاد إلى البحث في تاريخ الرواية العربية فتعددت كتاباتهم وأبرزوا مراحل تحولها ويمكن القول أن تطور الرواية كان بمثابة التحول الثقافي الذي مسَّ الأدب العربي، حيث ساعد هذا التحول في تغيير "رؤى العالم، وتبديل الحساسيات الأدبية، وبالتالي إنتاج أنماط ثقافية ومعرفية، وأشكال للكتابة الأدبية لم تعرفها الثقافة العربية من قبل ونعني بذلك القصة والرواية والمسرحية"¹، لقد مرَّ هذا التحول الثقافي في الكتابة الأدبية بمراحل مسَّ التاريخ وتطورت الرواية من التقليد إلى

التجريب الذي شهدناه مع المؤلفات والإبداعات المعاصرة. فالإبداع الأدبي شهد محاولات أولية للأشكال السردية وتحديدًا مع بدايات القرن التاسع عشر، وقد أشار ادوارد خراط إلى هذا في كتابه الموسوم: (الحساسية الجديدة- مقالات في الظاهرة القصصية) حيث يقول: عن هذه المراحل للحقبة التاريخية "الحساسية الفنية أنها شهدت في الأربعينات ظهور العناصر الريادية في كل من الاتجاه الواقعي والاجتماعي، مما كانت له الغلبة في المشهد الأدبي المصري في الخمسينات، (...) أما في حقبة الستينات فقد شهدت آمالا عظيمة وتغيرات عميقة المدى في العلاقات الاجتماعية لعلها غير مسبوقة في التاريخ الحديث للمنطقة العربية، أما في السبعينات والثمانينات فقد عرفت البلاد العربية سيادة القيم وانحصر الإيديولوجيات والممارسات الاشتراكية، ومع هذا المجرى وضع مفهوم الواقع نفسه موضع السؤال"² وفي ما يخص سنوات التسعينات نجد المشهد الأدبي في الجزائر اعتمد على كتابة الواقع، حيث كان اهتمام الروائيين تجسيد ما حدث في الجزائر . تلك الفترة العصيبة التي استهدف فيها المثقفون والعسكريون، وهنا استطاع الروائيون أن يؤرخوا لفترة كانت فترة مظلمة على الشعب الجزائري، وتميزت النصوص الروائية آن ذاك " بالتأريخ لحوادث أليمة بأساليب فنية وجمالية تشكل لحظة مهمة للقارئ. إلا أن التأريخ الروائي يختلف عن تأريخ المؤرخ، كون أن هذا الأخير ينقل الأحداث الكبرى كما هي دون إضافة، أما التأريخ الروائي فهو تأريخ تطغى عليه تفاصيل كثيرة، اللغوية والفنية والمعلومة والخبر، وبالتالي فهو تأريخ إبداعي"³، وبهذا كانت الرواية الجزائرية آنذاك رواية تاريخية تأريخية، وفي حديثنا عن الرواية التاريخية فإنه يمكن أن نذكر نماذج من الرواية العربية، كانت من أهم ما قدم على خلاف ما قدمه جرجي زيدان، فمنها روايات نجيب محفوظ في "أولاد حارتنا" ورواية جمال الغيطاني " الزيني بركات"، أما

في الأردن وفلسطين يمكن أن نذكر الروائي عيسى الناعوري بروايته "مارس يحرق معداته"، و "أبناء القلعة" لزياد قاسم⁴.

إن تطور الأدب العربي الحديث مرّ بمرحلتين تقليدي وتجديدي، ويقصد بالجانب التقليدي تلك الرواية البسيطة المكونة من حبكة وعقدة وحل، حيث برز للحساسية التقليدية " أفقان رئيسيان مهيمان على أفق انتظار القارئ في تلك المرحلة هما: 1- أفق انتظار رومانسي/ 2- أفق انتظار واقعي، وهنا ازدهر تيار الواقعية في الرواية العربية وبدأ الوهن يدبُّ في أوصالها، وغدت تعاني من مجموعة من التناقضات والمفارقات في الخمسينات من القرن الماضي"⁵، بعد هذا بدأت تتبلور مؤلفات وإبداعات ويرجح هذا التحول بعد هزيمة حزيران 1967م، حيث تم تسجيل كم كبير لروايات عديدة وغزيرة وهناك من يقول أن: "أن الهزيمة ليست السبب الوحيد الذي يقف وراء غزارة الإنتاج الروائي العربي لكنها دون شك كانت عاملاً أساسياً، في هذا الصدد، إن لم تكن أهم العوامل"⁶، وهناك عوامل تاريخية أخرى ساعدت في انعطاف مسار الكتابة الروائية وقد حددها "عبد المالك أشهبون" في كتابه (الحساسية الجديدة في الرواية العربية) في عدة نقاط وهي:

➤ معظم الروائيين كانوا ينتمون إلى التنظيم السياسي واليساري في المشرق والمغرب.

➤ استفحال القمع والحكم الفردي، وغياب الحق والقانون والعدالة الاجتماعية.

➤ انهيار الأنظمة السائدة قبل الثورة، وبهذا تفتتح وعي الروائي على ثورة 1952.⁷

بناء على ما سبق فإن هذه العوامل وهزيمة حزيران 1967 أيقظت الحاجة إلى خطاب مختلف، ينبع من أعماق الذات المجروحة، ويحفز لها سنن البوح لاستعادة وجودها المتواري تحت ثقل الحكم الفردي، فالرواية العربية في بداياتها الناضجة كانت تتطوي على الوعد بصورة أدق وأصدق عن المجتمعات العربية وهي

في غمرة التحولات المتسارعة، الكاشفة لتناقضات الخطاب المؤدلج مع فورة تبدلات المشهد العمراني والوعي السياسي والثقافي.⁸

إن المنتبج لتطور الرواية يرى أن الرواية العربية في بداياتها كانت عبارة عن رواية تاريخية تمتزج مع التراث، وإن تطورها بدأ مع الستينات، وأن نجيب محفوظ هو من أسس لرواية عربية ذات طابع عربي، وفتح الباب أمام أجيال من الروائيين لكتابة رواية تتماشى مع الواقعية الجديدة بعد النكسة .

3. الرواية العربية والحساسية الجديدة:

يبقى مصطلح الرواية مصطلحا واضحا لا غموض فيه فهي ذلك النص النثري الحوارى الذى يحمل مجموعة من الأنساق، وكما أشرنا سابقا إلى أن الرواية العربية تغيرت عن سابقتها شكلا ومضمونا ودخلت عوالم التجريب، فالتجريب حصيلة لتحول فكري ووعى نقدي، لأن الفكر يقوم على مجموعة من التساؤلات، بمعنى آخر أن التجريب هو عملية خلخلة في بنية معطى ما، كما أنه " يقتزن بالأسئلة التي تسعى إلى تدمير سلطة السائد والمألوف الفني ثقافيا واجتماعيا، بالبحث عن إجابات جديدة غير تلك التي جفت وكدت⁹، فالرواية الجديدة سعت إلى التجاوز وخرق النموذج التقليدي، وبهذا أصبحت لا تتوافق مع الواقع والثقافة الحالية، فأصبح كل أديب ومبدع يرغب في الانتقال إلى مرحلة أكثر ازدهارا، فهو على قناعة بأنه يبحث عن البديل، هذا البديل يحمل معه آليات وأدوات مختلفة لعلها تحقق الجمالية التي يتمناها المتلقي " فالتجريب شرط من شروط حياة الأدب والفن، وإمارة من إمارات الوعي عند المبدع وعلامة من العلامات التي تصنع الفروق بين المجتمعات وحتى الأفراد، فالذي يمارس التجريب يمارس ثنائية الهدم والبناء ويشارك في ارتياد آفاق لم تكشف بعد¹⁰؛ ولقد تعادل مصطلح التجريب مع عدة مصطلحات كالمغامرة والتجاوز والتجربة والطليلة والحساسية الجديدة.... الخ، ويأتي المصطلح الأخير

بإسهامات "الدوارد خراط" النقدية وقراءاته المفتوحة على المنجز الإبداعي المصري منه خاصة والعربي عامة، فخلص إلى مصطلح الحساسية الجديدة كبديل لمصطلح التجريب، لأن الكتابة الإبداعية ما عادت تلك الكتابة الساذجة بل أصبحت ذلك الإبداع الذي يثير الأسئلة لا تقديماً للأجوبة، وقد رأى "دوارد خراط" أن الحساسية الجديدة تختلف عن الحداثة حتى وإن كانا يتقاطعان في مساحات كبيرة فهو يقول: " الحساسية الجديدة تعني - أولاً وأساساً - تلك النقلة في تطور الأدب ... ولكن الحداثة ليست قريناً للجدة، وهي - أساساً- تعبير عن القيمي لا عن الزمني، وهي نفي مستمر، ليس في تكوينه ما يتيح له أن يكون بنية ثابتة، أي أنها سؤال مفتوح"¹¹، ويفهم من قول "الدوارد خراط" أن الحساسية الجديدة والحداثة وجهان متلازمان لمصطلح التجريب فربط الحداثة بعالم السرد يجعلها تتخذ طابعاً نسقياً بنيوياً ينبثق من رحم التطور الذي يكون في القواعد الداخلية للسرد لهذا نجد التجربة الروائية العربية اجتازت وشقت لنفسها طريقاً نحو التطور¹².

بناء على ما سبق فإن الحساسية الجديدة والتجريب حتما الروائيين إلى البحث الدائم عن وسائل الإبلاغ التي تكون لها تأثير أعمق في نفس القارئ وعقله، فالحساسية الجديدة ليست عفوية مطلقة ولكنها أيضاً مشروطة بثقافة المبدع المنفتحة باستمرار على حقول الإبداع الثقافي العالمي والواقع. فكانت الواقعية في البدء مشروع خطاب حضاري ثم تحولت إلى نص اجتماعي تاريخي مباشر أقرب إلى الوثيقة منه إلى العمل الفني ثم أصبحت موقعا بين الحلم والواقع، فلم تكن الواقعية في مراحل المسار الإبداعي نمطا مدرسيا بل هي موقف حضاري بالدرجة الأولى ووسائل تعبيرية تبدأ بعرض الواقع ثم تسعى في الأخير إلى إبراز الممكن والمحتمل عبر الواقع والحلم، تلك هي معالم الرواية العربية، بحث دائم عن الهوية والمغامرة الفنية تغالب شتى العوائق وحلم جريء بدأ يتحسس الطريق إلى اليقظة، والحلم في واقع

النص الروائي مخاض عسير يستمد حرارة النبض فيه من المجتمع الباحث هو الآخر عن النهضة في دوامة القرن العشرين.¹³

4. ملامح الرواية العربية بعد التطور:

بما أن الرواية واحدة من أقوى النظم التمثيلية في هذا العصر، فقد اختلفت شكلا ومضمونا وهذا يعني أنها اتخذت ملامح جديدة وآليات تسعى إلى إنتاج معارف ثقافية وقد تطرقت الدراسات المعاصرة إلى هذه الملامح واستخلاص بعض السمات اللافتة لها، ومنه تم إعادة صياغة أسئلة الرواية العربية في ضوء التغيرات الفنية والمعرفية وحتى على مستوى الواقع، ويمكن حصر بعض الملامح كالاتي:

4. 1- التهجين اللغوي:

تميزت رواية الحساسية الجديدة بالتهجين اللغوي بمعنى "الإخصاب والتوليد، سيروية ملازمة لحياة المجتمعات، تلاحق التحولات وتسعى إلى التعبير عنها من خلال ابتداء الكلمات وتلقيحها وتفرغ دلالتها وتلاوينها. وهو ما يجعل اللغة القومية تنقسم بالضرورة كما لاحظ باختين إلى لهجات اجتماعية ووطنية مهنية ولغات للأجناس التعبيرية وطرائق كلام بحسب الأجيال"¹⁴، وبما أن اللغة أداة تواصل ومعطى داخل المجتمعات نجد الروائي يحاول دمج لغته الخيالية مع اللغة المتوفرة في المجتمع، فالروائي يستعمل اللغة ويحاول توليد دلالات عن طريق التهجين، وبهذا تكون اللغة الروائية من أهم العناصر التي تسعى من خلالها إلى تقييم النصوص الروائية، فاللغة تحمل دلالات بين العالم الخارجي والعالم الداخلي للرواية الذي ينتجه الروائي عبر خياله الفني. ومنه فالتهجين كما أشارت إليه "سامية إدريس" في كتابها الموسوم ب: "تمثيل الصراع الرمزي في الرواية الجزائرية" وهو المزج بين لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد، إنه اللقاء في وحدة من هذا الملفوظ بين وعين لغويين مختلفين، مفصولين بحقبة تاريخية بتباين اجتماعي أو بهما معاً، ولا يتميز

التركيب الهجين بخصائص شكلية محددة.¹⁵ وهناك من يرى أن التهجين اللغوي قد يطمس الهوية .

4. 2- التفاعل النصي أو التناص: بما أن النص الروائي كيان لغوي فإنه يحمل مجموعة من التفاعلات النصية، وقد اتفق الكثير من الدارسين إلى إعطاء التناص مفاهيمًا متشابهة فالتناص هو استحضار نصوص سابقة في نص جديد، ولقد أرست "جوليا كريستيفا" مفهومًا على التناص حيث قالت: "إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات. وكل نص هو تشرب، وتحويل لنصوص أخرى"¹⁶، ولم تكن جوليا كريستيفا هي الوحيدة من أعطت مفهومًا للتناص فهناك من يرى من يقول إن: " كل نص يتوالد، يتداخل، وينبثق من هويلى النصوص في مجاهيل ذاكرة المبدع الأسفنجية، التي تمتص النصوص بانتظام، وبثها بعملية انتقائية خبيرة، فتشتغل هذه النصوص المستحضرة من الذاكرة داخل النص، لتشكل وحدات متعالية في بنية النص الكبرى، وتتجسد في مصطلح يدعى التناص، والتناص لا يكون بالمضمون فقط، وإنما يكون بالمفردات، بالتركيب، بالبناء، بالإيقاع، بالمحاكاة، بالمعارضة"¹⁷، ولقد تميزت النصوص الأدبية الروائية والمعاصرة بميزة التناص حيث عمل الروائيون على استمداد المخزون الثقافي وإعادة تركيبه وتوظيفه في نصوص روائية جديدة، وهذا التفاعل النصي أكسب الرواية ميزة جمالية وأثرى التجربة الروائية، فتحويل النصوص في بنية كلية يعد بمثابة التوالد والتناسل الذي يجعل النص الروائي مشبع بعدة سياقات وأنساق ثقافية.

ولأن أشكال التناص والموروث السردية كثيرة، يكفي أن نقول أن رواية الحساسية الجديدة صارت تلك الرواية التي تداخلت فيها الأجناس الأدبية المتنوعة، حتى هناك من أسماها "بالرواية الشعرية"، وهذا ما " يضعنا عند سؤال جوهرى لا يمكن القفز عليه وهو كيف يتعلق نص بجنس أدبي، وهي نفس الإشكالية التي

طرحها "جرار جنيت" بخصوص الانحراف الساخر وهو تتناص يتجاوز مجرد التعامل بين النصوص ليغدو محوّلًا لها من مجالها الأجناسي الأول إلى مجال أجناسي آخر¹⁸، فهذا ما حصل للرواية الجديدة المعاصرة التي تفاعلت فيها الأجناس الأدبية من خلال التناص الذي يتم في النص الروائي، فتصبح الرواية عبارة عن بنى دلالية شكلية تسيرها اللغة، حيث يمكن القول أن رواية الحساسية الجديدة قامت بمحاكاة البنية الفنية للأجناس المتداخلة فيها، كما طوّرت وعيها ولم تعد حبيسة النظرة الكلاسيكية، وصارت أكثر تفتحًا. فهذه الأجناس الأدبية تلقت جميعها في أكثر من تجربة إنسانية، فلذلك نجد الروائي يفتح على هذا وذاك، وينطلق من عملية استلها من رجوعه إلى ينباع التفكير الإنساني المليئة بالمضامين الإنسانية المختلفة والزاهرة بالرموز الغنية بالدلالات، ولعل الروائي الذي ينطلق من إشكالية التجنيس يجد ضائقته خلال اغترافه من بعض ينباع الميثولوجيا الدافقة، كما أن المسرح والسينما والنحت والموسيقى هي كلها ينباع تصب في عالم الرواية، الذي يجب على الروائي أن يوظفها بجميع تنوعاتها الهائلة ليتمكن من تفهم الواقع، بل إن التعمير والتنوع في كل ما من شأنه الإسهام في إعطاء الرواية فساحة ورحابة أكثر وهي تتقاطع مع مختلف الأجناس.¹⁹

4 . 3 - تشظي الشكل الروائي:

اختلفت الرواية الجديدة عن الرواية الكلاسيكية شكلا ومضمونا، فبالنسبة للشكل نجد أن رواية الحساسية الجديدة طورت آلياتها الفنية حيث تغيرت في طرح الشخصية والزمن والمكان والوصف وكل ما يتعلق بالرواية فالزمن في الرواية الجديدة جاء متكسرا بين استنكار وارتداد أحداث على عكس الرواية التقليدية التي كان فيه الزمن متسلسل تصاعدي، ويمكن القول أن تشظي الشكل في الرواية الجديدة " يتجلى في استعمال لغة مقتصدة، وتجنب الوصف المطنب، وتوظيف التلميح

والصمت، ودعوة المتلقي، ضمناً، إلى إعادة تخيل النص.. وهذه الأندوية في التعبير تسجل إعراساً عن ملاحقة الواقع في كليته واختصار السرد وتعويضه بتفاصيل صغيرة تكسر وهم القبض على ما هو عام وشمولي أو كما عبر عن ذلك أحد هؤلاء الروائيين المتميز بالتجريب المنهجي والتنظير له قائلاً: عندما تزهد الذات في الوطن والتاريخ والجماعة والسياسة والقضايا الكبرى لا يبقى أمامها سوى الانحطاط في ظرف وجودها الفردي وزمنها الخاص من هنا تأتي وحشية التفاصيل الصغيرة التي تلتهم السرد²⁰، فعند النظر إلى النصوص الروائية الجديدة والمعاصرة والتي اعتمدت على آليات جديدة لإنتاج شكل ونص يمكن تمييز التجربة اللغوية باعتبارها العنصر البارز فيها، وقد اشتركت هذه النصوص في تقجير خطية أو نسق السرد، ابتداء من تداخل أنواع الخطابات، وتراجع حدة الشخصية أي إهمال الشخصية المركزية والبطلة على عكس الرواية التقليدية التي كان أهم شخصية فيها البطل، وغياب العقدة والحل وأصبحت تقريباً نهاية الرواية الجديدة تبقى مفتوحة، وابتعاد اللغة عن الواقع وذلك كله من أجل جعل قارئ الرواية يتجه نحو الحلم والتخيل، فالشكل الروائي الجديد تغير كلياً عن سابقته، وبناء على ما سبق يمكن القول أن الحساسية الجديدة مست كل الروائيين وخضعوا إلى قانون التغيير الذي يتوافق مع الظروف المحيطة بحيث سعى كل روائي إلى "خلق أفق انتظار جديد على ضوئه تنفتح صيرورة جديدة في مسار تطور الرواية العربية"²¹.

5. نقد المحرمات (الجنس والدين والسياسة):

تميز الإنتاج الروائي المعاصر بالتنطرق إلى الجنس والدين والسياسة بحيث كانت هذه العناصر الثلاث في الرواية الكلاسيكية عبارة عن مناطق حساسة تخضع لمقتضيات الأخلاق والتقاليد، بذلك نجد الرواية المعاصرة تخلصت من بعض القيود التي كانت في الرواية التقليدية فأصبحت تطرح الثالوث الممنوع بكل حرية، والملاحظ

واللافت أنه في النصوص الروائية الجديدة هي أن الشخص لا تتسجن في الشكوى من الحرمان أو التعالي الرومانسي للجسد، بل تتخذ من الغريزة والإحساس الملموس ووصف التفاصيل، وسيلة للتعبير عن الجنس، حتى ولو اتخذ هذا التعبير طابع العنف، وتتميز النصوص التي تتصل بفضاء المدن الكبيرة بحضور الجنس، وأما بالنسبة للدين فقد احتل موضوعه حيزاً لا بأس به في الخطاب الروائي، على اعتبار أن الدين لا تنحصر تجلياته في مسألة الاعتقاد بوحداية الله، بل تشمل الطقوس والمعاملات والثقافة المتصلة بالدين وترسيباتها في اللاوعي، فالدين يحضر في الرواية الجديدة ضمن خانة العناصر المتصلة بالكينونة والتطلع إلى كشف الحجاب عن المجهول والغامض والمستعصي عن الفهم، وأما موضوع السياسة فهذه الثيمة اقترنت بظهور الرواية العربية لتعبر عن تطلع عميق للتحرر من الاستعمار، ونزوع إلى النهوض وتطوير بنيات المجتمع ومؤسساته، وبعد الاستقلال أصبح حضور السياسة في الرواية متصلاً أكثر بانققاد الاستبداد والدكتاتورية، ويمكن القول أن السياسة أصبحت تتخذ مظهرًا مختلفًا على الرغم استمرار ثيمات السجن والتعذيب والقمع، ذلك أن روائيين اليوم يرصدون الخراب الاجتماعي المنحدر من تطبيق السياسة التي تحتقر المواطن وتعزز الفوارق والتبعية.²²

6. تعدد الأنساق الثقافية في الرواية المعاصرة:

تطرقت الرواية العربية إلى دراسات نقدية أدبية وثقافية، حيث إن التطور الذي وصلت إليه الرواية العربية أبرزت أنها رواية محملة بمجموعة من الأنساق الثقافية، فالثقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنة وتتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة سميكة وأهم هذه الأقنعة وأخطرها هو قناع الجمالية أي الخطاب البلاغي الجمالي الذي يخبئ من تحته شيئاً آخر غير الجمالية، وليست الجمالية إلا أداة تسويق وتمرير لهذا المخبوء وتحت كل ما هو جمالي هناك مضمّر

نسقي ويعمل الجمالي على التعمية الثقافية لكي تظل الأنساق فاعلة ومستديمة من تحت القناع²³، وهذا من أهم ملامح الرواية المعاصرة، ويمكن أن هذا الملمح لم يظهر في الرواية الكلاسيكية إلا بعد بروز النقد الثقافي الذي " شمل فك شفرات النصوص لأنواع عديدة، في نطاقات وسياقات مختلفة: الكلمات والصور والأغراض والأعمال الأدبية، والطقوس الاجتماعية، والدلالة الضمنية مصطلح مستخدم لوصف المعاني الثقافية"²⁴؛ وبذلك إن حضور الأنساق الثقافية في الرواية العربية أضيف عليها جماليات فنية بهندسة ثقافية، فالرواية المعاصرة تقدم ضمن متعتها فهما أعمق للنفس البشرية ولدواخلها، وما تضمنه من كوامن قد لا يلامسها أي فن آخر، وذلك أنها تقترح حلولاً خيالية لمشاكلنا الواقعية التي نعيشها فهي تتأسس على مجموعة من الأركان الضرورية الفنية والجمالية في شكلها العام، وقد بات الفن الروائي المعاصر يتقبل مختلف الأبنية ويتشرب مختلف الأنساق، فهي نجحت في اختراق العوالم الحداثية من خلال تطويرها لأدواتها الفنية وتطويعها لجماليات لغتها²⁵، ومن أهم الأنساق التي برزت في الرواية العربية المعاصرة النسق الاجتماعي، والنسق الديني، والفلسفي، والإيديولوجي والسياسي.

7. خاتمة:

في الأخير من خلال التطرق إلى تحول الرواية العربية وتطورها وصلنا إلى نتائج كثرة أهمها:

* اختلفت الرواية العربية المعاصرة عن الرواية التقليدية والكلاسيكية شكلاً ومضموناً.
* إن تحول الرواية وتطورها لم يأتي من فراغ فلقد كان وراء هذا التطور أحداث تاريخية وثقافية أهمها هزيمة حزيران.

* يمكن اعتبار رواية الحساسية الجديدة بنية ومزيج من عدة ثقافات وذلك لامتناسها عدة أجناس أدبية، وتوسعها على الثقافات الغربية .

*كشفت الرواية العربية الجديدة المسكوت عنه من خلال كسر التابو (الجنس - الدين - السياسة)

*مسّ التجريب وتحول الرواية كل الروائيين العرب، وهذا ما ظهر في كتاباتهم .
*أضفى تعدد الأنساق في الرواية العربية جمالية فنية، تجعل القارئ يسير نحو أفق الخيال والأساطير .

5.المراجع

¹ عبد المالك أشهبون: الحساسية الجديدة في الرواية العربية - روايات ادوارد خراط نموذجاً، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان - الرباط، ط1، 2010، ص 11.

² ادوارد خراط: الحساسية الجديدة - مقالات في الظاهرة القصصية، دار الآداب - بيروت، ط1، 1993، ص 10.

³ احمد عطار وآخرون: مقاربات فلسفية - للنصوص الروائية الجزائرية، النشر الجديد الجامعي، 2016، ص 13.

⁴ نزيه أبو نضال: التحولات في الرواية العربية، دار الفارس للنشر والتوزيع - عمان، ط1، 2006، ص 42 - 43.

⁵ عبد المالك أشهبون : الحساسية الجديدة في الرواية العربية، مرجع سابق، ص 12 - 13.

⁶ شكري عزيز الماضي: انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1978، ص9.

⁷ عبد المالك أشهبون : الحساسية الجديدة في الرواية العربية، مرجع سابق، ص 14.

⁸ محمد برادة: الذات في السرد الروائي، قراءة في 40 رواية، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، دار الأمان - الرباط، ط1، 2014، ص9.

⁹ بوشوشة بن جمعة: اتجاهات الرواية في المغرب العربي، تق: محمد طرشونة، المغربية للطباعة والنشر، ط1، 1999، ص 362

¹⁰ عمر حفيظ: التجريب في كتابات إبراهيم درغوثي القصصية والروائية، المطبعة المغربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ط1، 1999، ص9.

- ¹¹ إدوارد خراط: الحساسية الجديدة، مقالات في الظاهرة القصصية، مرجع سابق، ص 20 - 21
- ¹² عبد الإله قيدي: تفاعلات التأصيل والتحديث في الرواية العربية بالمغرب، منشورات دار ما بعد الحداثة - فاس، ط1، 2005، ص 135
- ¹³ مصطفى الكيلاني: تاريخ الأدب التونسي، سلسلة الدراسات - الأدب الحديث والمعاصر، إشكالية الرواية، المؤسسة الوطنية - بيت الحكمة، قرطاج، 1990، ص 229-230.
- ¹⁴ محمد بريدة: الرواية العربية ورهان التجديد، كتاب دبي الثقافية، يوزع مجاناً مع المجلة، الإصدار 49، دار الصدى، ط1، مايو 2011، ص 54.
- ¹⁵ سامية إدريس: تمثيل الصراع الرمزي في الرواية الجزائرية- دراسة في علم اجتماع النص الأدبي، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ط1، 2015، ص 57، 58.
- ¹⁶ محمد فنطازي: التناص، مطبعة بن سالم - الأغواط، ط1، 2010، ص 44.
- ¹⁷ المرجع نفسه: ص 45.
- ¹⁸ منى بشلّم: المجكي الروائي العربي- أسئلة الذات والمجتمع، تق: سعيد بوطاجين، دار الألفية للنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص 124.
- ¹⁹ الطاهر بلحيا: الرواية العربية الجديدة- من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة - جذور السرد العربي، دار الروافد الثقافية - ناشرون، ط1، 2017، ص 32 - 34.
- ²⁰ محمد بريدة: الرواية العربية ورهان التجديد، مرجع سابق، ص 52.
- ²¹ عبد المالك أشهبون: آليات التجديد في الرواية العربية الجديدة، مج: البحرين الثقافية، ع24، أبريل 2000، ص 133.
- ²² محمد بريدة: الرواية العربية ورهان التجديد، مرجع سابق، ص 58 - 68.
- ²³ سمير الخليل: مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي - إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة، مر: سمير الشيخ، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ص 293.
- ²⁴ حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2007، ص 317 - 318.
- ²⁵ الطاهر بلحيا: الرواية العربية الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة- جذور السرد العربي، مرجع سابق، ص 18 - 19.